**تاريخ الدولة العربية الاسلامية**

**المحاضرة الثالثة / الدعوة الاسلامية**

درج الباحثون في تاريخ الدعوة الاسلامية في عصر الرسالة على دراستها في اطار عهدين متكاملين ومتمايزين . عرف العهد الأولى بالعهد المكي ويبدأ بنزول الوحي على الرسول محمد (ص) في سنة 609هـ ، وينتهي بهجرته الى المدينة في سنة 622هـ ، اما العهد الثاني فهو العهد المدني ويبدأ من تاريخ وصول الرسول (ص) الى المدينة في سنة 622هـ ، وينتهي بوفاته فيها سنة 632هـ .

**\*الدعوة والتبليغ في العهد المكي .**

ويمكن تقسيم العهد المكي الى ثلاث مراحل هي :-

**اولاً:- المرحلة الأولى من العهد المكي**

وهي المرحلة التي استغرقت ثلاث سنوات وقد اصطلح عليها المؤرخون والباحثون بالمرحلة (السرية) حيث اقتصر تحرك الرسول (ص) على من كان يمتلك سلامة الفطرة وكان عنده ميل للإسلام ؛ ولهذا اقتصرت الدعوة حينئذٍ على جملة من المستضعفين في مكة وعشيرة الرسول (ص) ، فكان على الرسول (ص) خلال هذه المرحلة .

1-بناء الكتلة الجهادية الأولى والمحافظة عليها

ان بناء واعداد الجماعة الصالحة تكون بمثابة القاعدة الطليعية للدعوة ، وان مرحلة البداية والانطلاق في تاريخ الدعوة تعد من اهم المراحل الأساسية التي تواجهها الدعوات ، ولابد من التخطيط لها بما يتناسب مع الاهداف والظروف المحيطة بها ، فإذا اخذ بنظر الاعتبار المهمة والمسؤولية المتعلقة بالجانب التغييري بأبعاده الفكرية والاجتماعية في مجتمع جاهلي يؤمن بأرباب متفرقة ، وعلاقاته قائمة على اساس الاستعباد والرق وسيادة (الملأ) الذين ارتبطت مصالحهم واستمرار سلطانهم بعبادة الأوثان وتقديسها .

وقد كشفت وقائع السيرة في المراحل التالية لهذه المرحلة مدى خطورة هذه المرحلة ، لاسيما اذا لاحظنا مدى عنف رد الفعل الذي قوبلت به الدعوة من قبل المجتمع الجاهلي يومئذ .

لقد كان ردّ الفعل هذا – وما اتسم به من العنف بأقصى مداه – يعكس ادراك الملأ القرشي لمدى خطورة هذه الدعوة وما تبشر به من مبادئ العدل والاخوة بين الناس والمساواة المؤدية الى ضرب عنيف لمصالحهم المادية ومواقعهم الاجتماعية .

ان خطوات الرسول القائد (ص) كانت ذات اثر كبير في اكمال البناء الأول واعداد القاعدة الطليعية لحمل الرسالة والحفاظ عليها . فمن خطواته صلوات الله عليه وآله في هذا الاتجاه :

1-اختيار الأشخاص الذين يتمتعون بمواصفات خاصة تتناسب مع عظمة الرسالة .

2-الحيطة والحذر في التحرك والكتمان مهما أمكن .

3-اتخاذ مقر خاص للقاءات (وهو دار الأرقم) .

4-التاني والدقة في التعامل ، وعدم التظاهر بالممارسات العبادية الجديدة .

5-التعليم والتربية الفكرية والاخلاقية والروحية على اساس مفاهيم وقيم الرسالة الجديدة . وهو اهم عناصر البناء والاعداد الرسالي ، كما اشارت الى ذلك الاية الثانية من سورة الجمعة بقوله تعالى : (( هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلالٍ مبين ))

وعليه تكون الحاجة ملحة الى حماية البناء الأول واحكامه ، حيث يعد قاعدة التحرك في مواجهة الوثنية العالمية ووسائلها المتعددة ، فهي تمثل رداً حاسماً على كل القيم الجاهلية وانقلاباً جذرياً على ثقافة العصر وممارسته ومطامحه القريبة والعاجلة .

والقرآن الكريم يوضح مستوى ثقافة قوم النبي (ص) ومدى سيطرة الجهل عليهم من خلال تصويره لبعدهم عن الثقافة الالهية قال تعالى : (( لتنذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون لقد حق القول على اكثرهم فهم لايؤمنون )) .

أي انهم درجوا على اللجاج والجدال بالباطل والاعراض عن الحق والمكابرة فيه .

كما قرر القرآن حقيقة اخرى كان يعيشها المجتمع الجاهلي وهي الصدارة لاجتماعية المبنية على الثراء والجاه ، من هنا يرون انه لابد ان ينزل القرآن على احد الرجلين كانا يتمتعان بمنزلة مادية اجتماعية رفيعة في ذلك المجتمع . قال تعالى : (( لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم )) .

فالدعوة في هذه الفترة كانت في حاجة اكيدة الى نماذج نوعية اكثر قابلية للانضباط وذات الاستعداد العالي للعطاء لبناء قاعدة الاضطلاع الحقيقي بالمشروع الاسلامي على طول الخط ومرحلة الانطلاق للدعوة العامة بشكل خاص حتى اقامة الدولة والمجتمع الاسلامي .

**ثانياً:- المرحلة الثانية من العهد المكي مرحلة اعلان الدعوة وبداية المواجهة والصراع مع الوثنية والشرك**

وهي المرحلة التي تبدأ بحادثة (( يوم الدار)) وهي بإنذار العشيرة الاقربين ثم الدعوة العامة في مكة من اجل توسيع دائرة حركتها وتأثيرها في المجتمع المكي وغيره من المجتمعات .

وبعد ان اجتاز النبي (ص) المرحلة الأولى بنجاح تام وهيأ القاعدة الأولى للانطلاق حيث بلغ عدد الداخلين في الاسلام اربعين رجلاً انزل الله سبحانه وتعالى عليه : (( وانذر عشيرتك الأقربين )) .

ولما نزلت هذه الآية المباركة امر النبي (ص) ربيبيه وابن عمه علي بن ابي طالب (عليه السلام) ان يصنع طعاماً ويدعو بني عبد المطلب وبني هاشم ، فصنع علي (عليه السلام) ما امره النبي (ص) ، ولما اكلوا وشبعوا من ذلك الطعام القليل تكلم ابو لهب ومنع النبي (ص) عن الحديث حتى تفرقوا قبل ان يكلمهم النبي (ص) . ثم امر النبي علياً (عليه السلام) ثانية وصنع لهم مثل ما صنع من قبل اكلوا وشربوا قال لهم الرسول (ص) : انه قد جاءهم بخير الدنيا والآخرة ، ثم قال لهم : من يؤازرني على هذا الأمر فيكون اخي ووصيي وخليفتي عليكم ؟ فلم يجبه احد غير علي (عليه السلام) ثلاثاً فأمرهم النبي (ص) بعد اجابته بالسمع له والطاعة ، فأخذ القوم يضحكون ، وقالوا لأبي طالب : قد امرك ان تسمع وتطيع ابنك .

وهكذا كان التأسيس الإلهي للولاية جنباً الى جنب مع الاعلان عن الرسالة ودعوة الناس اليها .

وبعد ذلك تلقى الرسول (ص) امراً من الله تعالى ان يجهر برسالته ودعوته وعدم الخوف من المشركين بقوله تعالى ((فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين )) ، واقام بالأبطح فقال : اني رسول الله ادعوكم الى عبادة الله وحده وترك عبادة الاصنام التي لا تنفع ولا تضر وتخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت .

ولكن ما أن بدأ الرسول (ص) يجهر برسالته ويجتهد في دعوته العامة وأخذ يستقطب بدعوته المستضعفين والارقاء والشباب من مختلف القبائل والعشائر ؛ بدأت قريش ببطونها تشعر بالخطر المحدق بها وأخذت تعلن حنقها على الرسول (ص) ورسالته وأتباعه وحماته من بني هاشم وسلكت كل السبل الممكنة للقضاء عليه وعلى دينه ورسالته .

وكانت مواجهة قريش في البداية مواجهة سلمية أو الحرب النفسية المتمثلة بالتعجب والتشكيك بالرسالة وطلب المعجزة والسخرية والاتهام للنبي (ص) وللقرآن الحكيم واشاعة كل ما يؤدي الى احباط الدعوة وتعكير الجو امام تقدمها وانتشارها .وانتهت بتقديم العروض المختلفة لاغراء الرسول (ص) .

ثم كان التهديد بشتى اشكاله تعبيراً السهام التي اطلقها الملأ القرشي لضرب النبي (ص) ودعوته للانتقال من المواجهة المتطورة وهي المواجهة الساخنة التي بدأت بالإيذاء بشتى أشكاله ثم التعذيب للمسلمين الذين لا حامي لهم ، ثم انتهت بقرار التصفية الشاملة والسريعة في قتل القيادة وإنهاء وجودها وتحركها بشكل تام .

**\*اسباب ودوافع معارضة قريش للدعوة الاسلامية**

1-التنافس على السيادة القبلية

ان النظام القبلي وهو التفاخر والتنافس على المناصب والتي كانت سائدة بين بني هاشم وبين الامويين ، ولما كان الرسول (ص) من رهط بني هاشم فقد اعرض الامويين عن الايمان بنبوته اطلاقاً ، وذلك لان دعوة النبي (ص) تعني فقدانهم لمنصب القيادة .

2-الخشية من انهيار النظام الاجتماعي

بما ان النظام الاجتماعي السائد في مكة كان نظاماً قبلياً وكانت قريش تحظى في ظله بامتيازات هائلة فهذا يعني ان هذه المدينة كان يسودها حكم الاشراف ونبلاء قريش الف سادة قريش هذا النظام وكان من المزعج لهم ان يحصل اي مساس به في حين كان اوائل المستضعفين الى النبي هم الشباب والضعفاء والمحرومون ، والعبيد يضاف الى ذلك انه هو ايضاً لم يكن من الاشراف وانما كان في صغر يتيما وفي شبابه معدوماً ، ويعد ضمن التصنيف القبلي من افراد الدرجة الثانية من بني هاشم ، وكان عمه ابو طالب رغم شرف نسبه قليل ذات اليد وكانت كل هذه المؤشرات بمثابة تحذيرات ونر لزعماء قريش بان دعوة الرسول (ص) تهدد بزعزعة اسس نظامهم الاجتماعي .

**3**-المخاوف الاقتصادية

يرى بعض الباحثين المعاصرين ان الدافع الاقتصادي كان من العوامل القوية لمقاومة قريش لدعوة الرسول (ص)؛ وذلك لوجود مجموعة من الآيات المكية التي تذم بشدة أصحاب الثروة والمال. فكبار الاثرياء وأصحاب رؤوس الاموال في مكّة ـ استشعروا الخطر عند سماع هذه الآيات، ورأو ان نجاح هذه الدعوة سيكون بمثابة تهديد لمصالحهم الاقتصادية. ومن الأمثلة على تلك الآيات:

{ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا \* وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا \* وَبَنِينَ شُهُودًا \* وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا \* ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ \* كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا}.

4-الخوف من القوة المجاورة

نقل القرآن الكريم اقوالهم التي اعربوا فيها عن تخوفهم من الانصياع الى الدين الاسلامي ، فيكون انصياع قريش لهذا الدين يعني فتح جبهة جديدة من الحرب مع سائر القبائل العربية التي تعتبر قريشاً حامية لمعتقداتهم الموروثة ، وامينة على دينها فكيف تتمرد على هذه الاوثان .